

المعروف.. قيمة إسلامية وأخلاقية كبرى



يقول الباري عز وجل في كتابه العزيز: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) (الرحمن/ 60)، فعبر عن المعروف بالإحسان، بأن يحسن المرء إلى الغير بما يبرز طهارته وصفاءه. عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة، قيل: يا رسول الله، وكيف ذلك؟ قال: يغفر لهم بالتطوّل منه عليهم، ويدفعون حسناتهم إلى الناس فيدخلون بها الجنة، فيكونون أهل المعروف في الدنيا والآخرة». وعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): «إنّ الله يقول للفقراء يوم القيامة: انظروا وتصفّحوا وجوه الناس، فمن أتى إليكم معروفاً، فخذوا بيده وأدخلوه الجنة».

ينطلق المعروف في الحياة ليؤكد مدى الارتباط بالله تعالى، والسعي العملي لبلوغ القرب منه، بالعمل الذي يمنح الحياة قيمةً، ويغنيها بصنوف الإحسان، إن كان هذا المعروف خالصاً لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته. والمعروف عند الله له أجر عظيم وفضل كبير، فقد جاء عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «أبذل معروفك للناس كافّة، فإنّ فضيلة المعروف لا يعدلها عند الله سبحانه شيء». والمعروف له تبعاته الطيبة على صاحبه، فهو من المحفّزات التي تهذب النفس وتربّيها على فعل الخير وحبّ الناس

والمنفعة لهم، ويتعد به عن كل انغلاق وضيق أفق وصدر، كما ويربي المشاعر على الصفاء والطهارة وحسّ الشعور بالآخرين. ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «اصطنع الخير إلى أهله وإلى من ليس أهله، فإن لم تصب من هو أهله، فأنت أهله».

كما ويعطي المعروف سعة أفق للإنسان، عندما يخرج من دائرة التفكير الذاتية والخاصة المحدودة، لينطلق إلى الدائرة الاجتماعية الأوسع، فيشارك بكل همّة وإخلاص في أعمال الإحسان والمعروف والبر للآخرين، ويسدي لهم كل معونة مادية ومعنوية، عبر الكلم الطيب النافع الذي يهدئ النفوس، ويقلع منها الأحقاد والعصبية، ويزرع المحبة والرحمة في ربوع الحياة.

والسؤال الكبير: هل نحن فعلاً ممن ينطلقون لتكريس قيمة المعروف وتعميمها؟

إن المجتمع ينتظر من أبنائه أن يكونوا صنّاع المعروف، يبحثون عن كل الطرق التي تؤكّد المعروف في ساحات الواقع المختلفة، في ظلّ الأجواء المحتقنة والملبّدة اجتماعياً ونفسياً وفكرياً، حتى يشعر الناس اليوم بأنّ هناك من يسأل عنهم من أهل المعروف الذي لا يموت، ما دام هناك من يؤمن بالله ويعمل صالحاً، ويعرف أهميّة بذل المعروف وصنعه بين الناس.